الجركس

أصلهم. عاداتهم. تقاليدهم

هجرتهم إلى الأردن

دراسة مقارنة بين الجركس والبدو

روكس بن زائد العزيزي
ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان

أصلهم :

هذا الشعب ، من الشعوب العريقة في القدم ، ذكرهم (هيرورتس) أبو التاريخ انهم من نسل (الاسكيث) والنساء (الامازونات) المعروفات عند (اليونان) بقاتلات الرجال . لانهن كن نساء محاربات . وقد نتج عن زواج شبان (الاسكيث) بالنساء (الامازونات) شعب عرف ب (الصرمات) (٢)

قال (هوقراتس) : « يوجد قوم من (الاسكيث) يختلفون عن بقية الاقوام المجاورة لهم كل الاختلاف ، يدعون :ـ (الصرمات) ، نساؤهم يركبن الخيل ، ويحملن القسي ، ويشتركن في الحرب مع الرجال ، مادمن عذارى ، ولا يسمح لانثى (الصرمات) أن تتزوج ، مالم تقتل ثلاثة من الاعداء .

اما بعد ان تتزوج ، فلا يطلب اليها ان تحارب الا عند الضرورة القصوى .

عادة استئصال الشدى الايمن :

وقد اعتادت هؤلاء النساء من اقدم الازمنة ان يستاصلن الثدى الايمن من صدور بناتهن الصغيرات ـ بالة مخصوصة من القصدير ـ ليسهل عليهن يوم يكبرن ان يستعملن السيف وغيره من الاسلحة ، وادوات الحرب • وقد كان القوم يسمون (الصرمات) ، الشعب الذى تحكمه النساء •

والذى عرف عادات الشعوب القوقاسية ، يلاحظ ما تتصف به نساؤهم من البطولة ، فيصدق ما قاله المؤرخون ، وما رواه التاريخ •

لقد اضطر (الجركس) القدماء ان يحاربوا (الا يتمش) الذين كانت تحكمهم امراة محاربة ، وكان قومها يضفون عليها صفة النبوة •

وكان زعيم الجركس المدعو (ثولمة) ، لا يقل عن زعيمة (الا يتمش) حكمة وعظمة •• فلما تقابل جيش زعيمة (الا يتمش) وجيش (ثولمة) زعيم الجركس ونصبت خيام الحرب متقابلة ، خرجت زعيمة (الايتمش) من خيمتها ، وطلبت مواجهة زعيم (الجركس) ـ في خيمة بيضاء بين المعسكرين ـ وبعد الاجتماع قر رأي زعيمة (الا يتمش) ان تتزوج (ثولمة) زعيم (الجركس)، فانتهت الحرب ، واقبل الجركس يتزوجون النساء المحاربات ، فانحدر من هذه المصاهرة شعب شهم قوى •

وكان (اللاتين) و (الاغريق) يسمون هذا الشعب :ـ (زيخ) والتتر يدعونهم (الجركس) وكانوا يسمون نفسهم ـ بلغتهم القومية (اديكه) وكانت مساكنهم تمتد من (نهر الدون) الى سواحل (البحر الاسود) ، باتجاه (البوسفور) •

ديانتهم قبل الاسلام :ـ

وقد كانت النصرانية منتشرة بينهم ، وكانوا يعمدون (٣) اولادهم بعد بلوغهم السنة الثامنة • وللعماد ثلاثة اساليب ، الشائع منها في الكنيسة الارثوزكسية ، التي كان الجركس ينتمون اليها ، هو العماد بالتغطيس •

نبلاء الجرس :

وكان من عادة نبلاء الجركس ، ان لا يدخلوا الكنيسة قبل بلوغهم الستين من العمر ، لاعتقادهم ان دخول الكنيسة للرجل المحارب ، قبل بلوغه الستين ، ـ وهي السن التي يكف فيها عن الحرب ـ تدنيس للكنيسة ، لانهم كانوا يؤمنون بان اعمال الحرب التي يمارسها النبيل ، لاتتفق وقداسة الدين ، ولطهر الكنيسة • فكان النبيل اذا بلغ الستين ، يهجر اعمال الغزو والحرب ، وينصرف الى العبادة والاصغاء الى المواعظ الدينية ، وممارسة العبادة والصلوات في داخل الكنيسة

تربية الاطفال :ـ

كانت نساء (الجركس) يضعن اطفالهن على فراش من القش ، لاعتقاد القوم ان القش هو احسن فراش للانسان في بداية حياته ، • وبعد ولادة الطفل مباشرة ، كن يحملن المولود ويغسلنه بالماء البارد ليشتد جسمه ، ويعتاد قسوة الطبيعة ، من اول لحظة في حياته • وكانهم بذلك ، كانوا يقلدون السبارطيين ، ولو باسلوب مخفف •

تسمية الطفل :ـ

اما تسمية الطفل ، فكانت تتم بان بمنح اسم اول شخص يدخل المسكن بعد ولادته ـ تفاؤلا ـ وكانوا يزيدون على هذا الاسم مهما يكن نوعه ، لفظ (قوة) (٤) ومعناها الابن ، فاذا كان اسم الداخل (بطرس) سمي الطفل (بطرس اوق) او (بطرس قوة) •

جهلهم الكتابة :ـ

وكانوا يجهلون الكتابة والقراءة ، فاذا اراد احدهم ان يكتب رسالة ، طلب من احد اليهود ان يكتبها له • او كلف من ينقل رسالته نقلا شفهيا •

من عاداتهم :ـ

وكان من عادات (الجركس) ان الرجل منهم اذا قتل عدوه ، تزوج امراته ، ولم تكن النصرانية لتحول بينه وبين القتل ، ولا بينه وبين تعدد الزوجات ، فكانت كل النساء اللائى يملكهن الرجل معدودات ـ بحكم تقاليدهم ـ نساء شرعيات ، كل النساء اللائى يتملكهن بالسبي ، او بقتل ازواجهن •

التعامل بينهم :ـ

لم يكن عند (الجركس) نقود ، لذلك كانت وحدة التعامل بينهم نوع من القماش يدعى (بوكاسين) (٥) كان يؤتى به من (ايطالية) وبقطعة القماش هذه ، كانوا يقدرون قيمة ما يريدون بيعه ، او شراءه •

معاملتهم للاسرى او لمن ينهبونهم من القرى والمدن :ـ

كانوا اذا اسروا احدا ، او اختطفوه من القرى والمدن المجاورة لهم ، باعوه في بعض المدن الكبرى ، مثل (القسطنطينية) او (القاهرة) • او استعبدوه•فكان العبد يخصص بخدمة المنزل ، اما المملوك فيستخدم في الجندية • ولعل الروس اول قوم استعملوا المماليك للحرب (٦) ، وفرقوا بين :ـ

أ ـ المماليك •   ب ـ العبيد ،

ج ـ والأفنان الذين كانوا يباعون مع الارض التي يعملون فيها ، كانما هم اشجار استنبتت في الارض ، او صخور وجدت فيها •

كيف كانوا يدخلون المعركة ؟ :ـ

كان (الجركس) اذا تقررت المعركة بينهم وبين اعدائهم ، يحلقون شعر صدورهم لانهم كانوا يعدون ابقاء الصدر غير حليق ، عارا ، وسبة يسبهم بها اعداؤهم اذا قتلوا او اسروا ، كانهم يرون في الذي لا يحلق شعر صدره رجلا جبانا لا يريد ان يلقى السلاح بصدره ، (٧) وقد كان العرب يحلقون رؤوسهم • وكان من عاداتهم ان يحمل الرجل موسى حلاقة ، ليحلق بعضهم لبعض•وكانوا يبقون في اوسط الراس جديلة من الشعر ، يقبض عليها المتغلب على عدوه لاذلاله ولذبحه من غير ان يمس وجهه بيده ، ولئلا يتلوث وجهه بالدماء ـ ولعلهم كانوا يفعلون ذلك ، تشاؤما من دم القتيل ، فقد كان ملوك العرب يبسطون نطعا تحت من يحكمون عليه بقطع الراس لئلا يسقط من دمه قطرة على الارض ، لاعتقادهم انه اذا سقط من دم المحكوم عليه بالموت قطرة على الارض ، كان ذلك اشارة الى ان الملك سيموت مقتولا •

بيوت الجركس كيف كانوا يصنعونها ؟ :ـ

كان الجركس يصنعون بيوتهم من القش، لكي لايكونوا شديدى التعلق بها ، ولكي لا يفترسهم الحزن اذا احرقها الاعداء ، لان من عادات الجركس قديما ، ان يحرقوا بيوت اعدائهم ، برمي مشاعل عليها ، وكانت هذه المشاعل مصنوعة من الخشب المطلي بالكبريت •

وفوق هذا ، فانهم كانوا يعدون البيوت الحصينة دلالة على جبن ساكنيها ، وخوفهم من اعدائهم •

اما المساكن البسيطة ، فقد دعا اليها عمر بن الخطاب وامر العرب ان يتخذوا بيوتهم بسيطة من لبن مسقوف بجريد النخل وسعفه، قليلة الارتفاع لكي لايتعلق الرجل ببيته ، ويظل العربى مستعدا للارتحال في سبيل الفتح •

وقد كان البدو يعدون تحصين البيوت دليلا على الجبن ، قال الشاعر البدوي :

«حسبت سياج الشوك (٨) يحمى من العدى   ثارى ما سياج الدار الارجالها !»

نبلاء الجركس واسلوب معيشتهم :ـ

كان نبلاء الجركس يحتفظون بآنية من الذهب والفضة ، يشربون بها مشروباتهم الروحية ، في المناسبات والمواسم الدينية ، وفي دفن موتاهم وابطالهم • ويسبق ذلك طقوس ومراسم يمجدون بها الابطال • وكانوا يشربون وهم حاسرو الرؤوس ، رمزا الى احترامهم الشديد لذكرى البطل ، او المناسبة الدينية •

وكانوا ينامون متوسدين دروعهم ، واسلحتهم الى جانبهم ، حتى اذا بوغتوا بغارة وهم نائمون ، وجدوا تلك الاسلحة قريبة ، في متناول ايديهم ، وهذه عادة الشعوب الفطرية ، فالبدو يقولون : « المومن وسلاحه ! » وكان فراشهم مصنوعا من الجلود المحشوة بازهار (الكالموس) (٩) المجففة •

اهتمام الجركس بعراقة الاصل :ـ

واهتمام الجركس بعراقة الاصل غريب جدا ، لا يكاد يجاريهم فيه شعب ، من الشعوب التقليدية ، فهم لا يعترفون بأصالة اسرة ارتقت من الطبقات الوضيعة ، ولو ظهر منها ملوك واباطرة •

وقد كان من العار عند الجركس ، ان يتعاطى النبيل التجارة ، ولعلهم في هذا يتفقون مع العرب قديما ، (١٠) ويتفقون مع البدو (١١) قبل ان يدركهم التطور الحضاري ، في ايامنا هذه •

وكانوا يعدون اشتغال النبيل في الامور الحسابية عارا ـ لانه يقوده الى التفكير في صغائر الامور • وهذا يتفق مع تفكير البدو قديما • قال شاعر البادية يمدح زعيما :

« ما قارط البياع ، في قرش ونصاف ! » اي لم يشدد في محاسبة

التاجر على القروش وانصافها • ولا ماكسه

الجركس والكرم :ـ

من محامد الزعيم عند الجركس ، ان يكون كريما ، ومنهنا جاء تمجيدهم للكرم • ومن مفاخر الزعيم ان يجود بملابسه ، وبكل ما يملك ما عدا سلاحه (١٢) وخيله • وهذا ما يمجده العرب عامة ، والبدو خاصة •

ومن عادات البدو التي يتفقون فيها مع الجركس ، ـ ولا سيما الزعماء ـ انه اذا لبس احدهم ملابس جديدة ، وقال له آخر (الحذية) (١٣) ان يتخلى له عن تلك الملابس ، وياخذ ملابسه القديمة عوضا عنها • وهكذا كان يصنع نبلاء الجركس •

وكان نبلاء الجركس يفخرون بارتداء الملابس القديمة ، ولو كان من الامراء ، لانها ـ عندهم ـ تدل على الكرم والسماحة• لانالكرم مناعظم الفضائل الاجتماعية•

وقد كان زعماء البدو قديما ، يلبسون سيوفهم المغشاة كلها بالذهب والفضة ، غلافا من الجلد ، تواضعا ، ويسمون مثل هذا السيف ، « الاجرب » او « الاجيرب » بالتصغير • وكان نبلاء الجركس مستعدين ان يبيعوا كل شيء ليشتروا الخيل الجياد وهذا ما كان معروفا عند البدو ، قال الشاعر :ـ

« بيع الجمل ، واشر فرس ، واشري صواري معدل ! »

اي بيع الجمل الذي هو اثمن ما تملك ، واشتر فرسا تغزو عليها ، واشتر بندقية قصيرة يستعملها الجندى الفارس • وصواري كلمة تركية حرفوا سينها صادا ، تعنى الفارس والفرسان ، والمعدل هي البندقية التي كانت واسعة الفوهة ، ثم ضيقت فوهتها ، فهي معدل •

الضيف ومعاملة الجركس القدماء له :ـ

يتمتع الضيف عند الجركس باحترام عظيم ، فيجب على المضيف ان يحميه من الاعتداء ، الى ان يحل ضيفا على قوم آخرين ، واي اعتداء يقع على الضيف ، قبل ان ينقض الملحة ـ اي باكل من طعام غير طعام مضيفه السابق ـ يعد اعتداء على مضيفه ومن اشنع المعايب التي تلصق بالرجل ، ان يسرق شيئا يخص ضيفه هذا عند الجركس وعند البدو ـ ويزيد البدو على الجركس ، ان الذي يثبت عليه انه سرق شيئا من ضيفه ، يعد ساقطا من معاني الرجال (١٤) ، لا تقبل له شهادة •

عادة جركسية ، تشبه التعليلة عند البدو :ـ

كانت عند الجركس القدماء عادة تشبه ما يسميه البدو التعليله • فقد كان من حق الضيف عند الجركس ـ قديما ـ ان يجالس العذارى لكي يختار له منهن زوجة• وكان البدو يسمحون للشاب ان يجلس مع الفتاة التي يحبها ، ليتخذها زوجة • وما زال الجركس يسمحون للفتاة ان تختلط بالشباب قبل أن تتزوج ، فاذا تزوجت انصرفت الى بيتها وحياتها الزوجية (حاجا) •

والجركس يسمون الضيف (غونو) • اما البدو فيسمون الضيف الذي يطيل ثلاثة أيام ، وثلث اليوم يقولون : « فنق الضيف » و « الضيف مفنق » ونحن نرى تشابها بين (الغونو) و (الفناق) •

عاداتهم في دفن موتاهم قديما :ـ

كانت العادة عند الجركس في دفن موتاهم ، ان يعلو قبر الزعيم ، دلالة على ارتفاع مكانته الاجتماعية • وكأن البدو يصنعون ذلك • وما تزال قبور بعض الزعماء بسبب ما وضع عليها من حجارة، مزارات ، يذهب اليها القوم ويودعون عندها مقتنياتهم ، فلا يجرؤ اللصوص ان يدنوا منها • (١٥) وهي عادات ما أنزل الله بها من سلطان •

اعمال المرأة الجركسية النبيلة :ـ

كانت اشغال المرأة الجركسية النبيلة ، في صنع الغلافات الجلد للاسلحة :ـ

ا ـ القامة • (١٦)

ب ـ الجنبية •

ج ـ السكين •

د ـ الموسى •

والتطريز ، وصنع الادوات المنزلية ، واغمدة الاسلحة التي تشير الى وجاهة حاملها • ولا يليق بالنبيلة الجركسية ان تشتغل الاشغال المنزلية من طبخ أو غسيل • ويشبه ذلك ما كانت تقوم به زوجة الزعيم في البادية التى كانت الاماء وزوجات الرعيان يقمن لها بالاعمال ، وتنصرف هي الى صنع البسط ، وساحة البيت، تعاونها في ذلك نساء الحي، وتنسج خرجا لفرس زوجها، وعذارا وصروغا (١٧) للعنان • فهمها منصرف ، لاظهار وجاهة زوجها بتجميل فرسه •

الزواج بالخطف : عند الجركس • وعند البدو :ـ

الزواج بالخطف عند الجركس ، لا ينظر اليه القوم باحتقار ، كما هو الوضع عند اكثر القبائل البدوية (١٨) فالجركس يعدون هذا الزواج الذي نرى ان يسمى : « زواج الانسلال • » يعدونه دليلا على الحرية ، ودليلا على ان

هذا النوع من الزواج يجعل الزوجين في حالة تاهب نفسي ، يبشر بنسل شديد ، قوي ذكي ، لا تحول العراقيل بينه وبين ما يريد تنفيذه . اما اغلب البدو فينظرون الى الزواج بالخطف نظرة احتقار ، ويرون في الانثى التي تقدم عليه ، ثائرة على تقاليد القبيلة ، الا ان بعض العشائر ترى في الخطف ما يراه الجركس ، والزواج عند الجركس على نوعين :

ا ـ الزواج الذي يتم بجاهة .

ب ـ والزواج الذي يتم بالخطف ، ونحن نسميه زواج الانسلال . وقد كان الجركس يسمون مثل هذا الزواج سرقة ، فكانوا اذا وقع مثل هذا الزواج يقولون : « فلان وفلانة سرقوا ! »

فالخطف عند البدو يرافقه شعور بالحقارة لاسرة المخطوفه ، واحتقار للخاطف ، في حين ان هذا النوع من الزواج عند الجركس لا يترتب عليه اي تحقير او احتقار لأهل الفتاة التي اختارت عريسها بنفسها ـ لان البنت اصلا ، تخجل ان تصرح لوالدها بانها تحب فلانا ، وتقاليد الجركس لا تبيح للابن ان يجالس اباه ، فكيف البنت ؟

فمن هنا نرى ، ان الغرض من التسامح بهذا الزواج ، هو احترام حرية البنت في اختيار شريك حياتها ، لكي تكون مسؤولة اولا وآخرا عن هذا الاختيار ، وكل ما ينتج عنه في المستقبل . وفوق هذا ، فهم يعتقدون ان الذي يقدم على هذا الاسلوب من الزواج ، لا بد وان يحصل على نسل شجاع ، ذكي وقوي . فاذا انسل فتى وفتاة لاختصار بعض الشكليات والتقاليد ، وجب عليهما ان يذهبا الى رجل معروف بالامانة والوجاهة تودع ألفتاه عنده ، فاذا اودعت الفتاة المخطوفة عند احد الوجهاء وجب ان تظل في بيت ذلك الوجبه ، لان تحويلها من بيت هذا الوجيه ، يعد من اكبر الاهانات للذى أستقبل هذين المنسلين . ومن بيت هذا الوجيه تبتدىء تسوية الزواج ، بعد ان يكون صاحب البيت الذي لجا اليه الشاب والشابة ، قد اخبر اهل الفتاة ان ابنتهم عنده ، وانها في مامن ، فلا يثور الاهل ، كما هي العادة عند العرب ، لان الجركس يعدون الامر طبيعيا ، وان الفتاة قد مارست حقها الانساني الطبيعي .

وبعد ذلك يؤلف وفد من الوجهاء ، ويذهب الى بيت والد الفتاة ، لتسوية القضية ، على نقيض ما هو معروف عند البدو . اذ يقوم ـ عند البدو ـ الذي لجا اليه الخاطف والمخطوفة بدور الاب ، فيؤلف جاهة تطلب منه يد الفتاة المخطوفة ، ويفرض مهر المخطوفة ، كالمهور المتعارف عليها عند عشيرتها . ثم يعقدون للخاطف على خطيفته العقد ، ويبنون له بيتا صغيرا يسمونه (البزرة) ، ويعطونه ذبيحة معروفة ب (الحلية) ويتزوج فتاته هذه .

اما عند الجركس ، فان الوفد ، او الجاهة ، يعلم والد الفتاة ان ابنته في حرز امين . فيبارك الوالد الزواج . ولا يحدث اي اضطراب او ثورة .

المهر عند الجركس :ـ

اعلى مهر عند الجركس هو مائة وخمسون دينارا في الاردن ولا يجوز ان يزيد على هذا المقدار ، ايا كانت طبقة والد الفتاة الاجتماعية ، وذلك تسهيلا للزواج . وبعضهم يرفض المهر اطلاقا ، وهذا المهر شيء رمزي عندهم ، لئلا يظن ان والد الفتاه راغب في التخلص منها . وليس عند الجركس متاخر ، فالزوج هو المسؤول عن اعداد البيت كاملا ، مجهزا بكل ما تحتاج اليه العروس .

الجركس وتعدد الزوجات :ـ

يندر ان تجد جركسيا يجمع بين امراتين على ذمته ، وقد ذكر لي رجل عالم ذو مقام كبير من الجركس ، ان عدم تعدد الزوجات ، هو اثر من آثار النصرانية التي كانت شائعة بينهم .

ولا يسبق العرس عندهم شيء من المراسم التي تستعبد الاوساط الشعبية من العرب . فلا (١٩) (نصة) ولا (فاردة) ولا (فطار) ولا (سحجة) ولا (حمام) ولا (زفة) .

فالعنصر الاساسي في الزواج عندهم ، هو رضى الفتاة واتفاق العروسين . وبعد هذا الاتفاق ، تقوم جاهة كبيرة بالتوجه الى بيت والد العروس حيث يكون اقارب العروس موجودين ، فتطلب الجاهة مصاهرتهم ، فيباركون للجاهة . ويكتب الكتاب .

النقوط ، وهدايا العرس :ـ

لا يوجد عند الجركس نقوط علني ، كما جرت العادة في بعض القرى العربية ، ولا يعلن عن الهدايا ، فالمتعارف عليه بينهم ، ان يقدم اصدقاء العريس هدايا عينية وقد يتبرع احد اقرباء العريس الاغنياء بمبلغ محترم مساعدة للعريس ، على مواجهة الحياة الجديدة .

فترة احتجاب العروسين اللذين تزوجا بطريقة الانسلال ـ الخطف:

فترة الاحتجاب هي المدة التي تلي الزواج ، مباشرة ، الى اليوم الذي يقرر فيه العروسان ان يعودا الى الحياة المالوفة ، وهذه المدة لا تزيد على خمسة عشر يوما . يحضر اصدقاء الخاطف ، ويذهبون به الى اهله ، فعندما يصلون الى دار اهله يسال هؤلاء الاصدقاء اهل الخاطف :

س ـ اهذا ابنكم ؟

ج ـ فيقول الاهل : « ليس هذا ابننا ، لان ابننا كان جميلا قويا ، وليس هذا الشكل شكله .

وبعد حوار تسوده روح الفكاهة ، يتعرف الاهل الى ابنهم ، فيقبل الشاب يد ابيه ، ويد امه ، ويد كل كبير هناك ، ويندمج في الاسرة . وتفعل العروس مثله، فانه لا يتم قبولها في الحياة العادية ، الا بعد ان تمر باحتفال واسئلة تشبه الاسئلة التي وجهت لعريسها ، وبعد ذلك ، يلقون على العروس نقودا وازهارا ، ولكي تتحرك في البيت تقبل يد كل كبير في الدار ، وتدخل بموسيقى خاصة .

زيارة العروس :ـ

عندما تزور العروس اهلها ، لا بد لها من ان تاخذ معها هدايا من الملابس ، لكل واحد من اقاربها ، وعند رجوعها الى بيت عريسها يحملها اهلها هدايا مماثلة من الملابس ، كالتي حملتها لاهلها ، على حسب المستوى الاجتماعي ، لكن العقلاء يريدون ابطال هذه العادة لما فيها من الاحراج .

بعد الزواج ـ

بعد الزواج تمضى فترة لا تتجاوز عشرة ايام ، لا يظهر فيها العروسان لوالدى العريس ، ولا لاي كبير السن من اقاربه . فيدخل العريس لمساكنة زوجته سرا ، الى ان يقام له احتفال خاص ، ومثله للعرس . وبعد هذا الإحتفال يسمح لهما بممارسة حياتهما في الاسرة طبيعيا . والمرأة الجركسية بعد الزواج تلازم بيتها ، وتصبح ربة منزل ليس غير .

البنت عند الجركس :ـ

البنت عند الجركس حرة قبل الزواج ، لها ان تتعرف على من تريد من الشباب ، لكي تختار شريك حياتها . وهذا يشبه الى حد بعيد ما عند البدو من تعليلة لكنها بعد الزواج تصبح ربة منزل ، وتلزم بيتها .

خطف المتزوجة :ـ

لا يجوز في تقاليد الجركس ، ولا في عاداتهم ، خطف امراة متزوجة ، وان تم ذلك عد الخاطفان ساقطين اجتماعيا ، الى يوم الممات ، وعدت اسرتاهما ساقطتين ايضا ، فالمرأة الكارهة زوجها ، يمكنها ان تطلب منه الطلاق وبعد ان يتم طلاقها لها ان تتزوج من تشاء .

المرأة عند الجركس :ـ

المراة عند الجركس محترمة ، سواء كانت اما ، ام اختا ، ام زوجة . على نقيض ما هو معروف عند البدو وعند اهل الريف من العرب ، فهي مقدسة اما ، عنوان فخر اختا ، اما الزوجة ، فانها لا تذكر الا معها : « اجلك الله مرتي . » او حرمتي تكرم من ها لطاري . او ام العيال وانت اكبر قدرا . وهناك فرق اساسي بين الجركس والعرب ، فالعرب يعدون زواج بنت العم من الغرباء عارا على ابناء عمها . في حين ان الجركس يعدون الزواج من بنت العم نقيصة . لانهم ينظرون الى بنت العم نظرهم الى اختهم . وهي في حاجة الى من يحميها من التدنيس، والتلوث ، فكيف يبيح الجركسى لنفسه ان يقوم بهذا التناقض . فاذا وقع مثل هذا الزواج عند الجركس فهو نادر جدا ، او لاسباب قاهرة ، وكلما ابتعدت درجة القراية في الزواج ، عد الزواج عندهم مثاليا . ولما سالت رجلا عالما من الجركس ذا مكانة عن السبب في نفورهم من زواج بنت العم ؟ اجاب : « هذا اثر من آثار النصرانية في الكنائس الشرقية ، ايام كان الجركس على هذا المذهب ، قبل ان يدخلوا الاسلام !»

المجتمع الجركسى :ـ

المجتمع الجركسي مجتمع رجال ، ككل المجتمعات الفطرية ، واذا اجتمع الرجال والنساء ، كان اجتماعهم اجتماع اسر ، والمراة الجركسية يحق لها ان تستقبل ضيوف زوجها كالعربية تماما ـ في غياب زوجها ـ

آداب الجركس الاجتماعية :ـ

الاب عند الجركس له منزلة لا تدانيها منزلة فلا يحق للابن ان يدخل في المكان الذي يجلس فيه ابوه ، ولا يحق له ان يؤاكل اباه ، ولا يجوز له ان يشعل دخينة في حضور والده او في حضور من هو اكبر منه سنا ، لانهم يعدون ذلك اهانة شنيعة . اما المراة ، فلا يجوز لها ان تتلفظ باسم حميها او حماتها ، كما انه لا يحق لها التلفظ باسم مماثل لاسميهما حتى ولا بعد موتهما ، ولا يجوز لها ان تقطع الشارع في القرية اذا رأت رجلا ، او رجالا من بعيد ، يريدون اجتياز ذلك الشارع . الى ان يمر الرجل او الرجال الذين شاهدتهم . لكن يقابل هذا ، ان الرجل اذا كان ممتطيا جوادا ، ورأى انثى ، فيجب عليه ان يترجل عن ظهر فرسه ، ويقطع الشارع راجلا ثم يمتطي فرسه او حصانه احتراما للمرأة (٢٠) ، ومراعاة لآداب الفروسية .

منزلة الطفل عند الجركس :ـ

يعد اهتمام الاب باطفاله عند الجركس امرا غير مرغوب فيه ، لابل يعد منقصة في الرجولة ، وقد كان الامر كذلك عند البدو واهل الريف ، والطبقات الشعبية من

العرب ، الى حد ، ان الاب الذي كان يلتفت الى اطفاله كان يعير بذلك٠فالجركسي يعد اهتمامه باطفاله تدليلا ، والتدليل عار ، لانه يوصل الى الميوعة ٠ فلا يجوز للابن ان يماشى اباه ، واذا مشى معه في الشارع ، فيجب ان يسير خلف ابيه ٠ وقد كان الاب الجركسي قديما ، اذا نادى ابنه ، ناداه باحقر الاسماء ، كقوله : « يا حذاء (٢١) ، يا كلب ٠ » وما اشبه ذلك ٠ وهم لا يقيمون حفلة للختان ، انطلاقا من هذه الزاوية ٠ ولا يحتفلون بتسمية الطفل ٠

الجركس في الاردن ، وهجرتهم :ـ

بعد صراع متواصل بين الجركس والقوات الروسية المسلحة ، زار القيصر (اسكندر الثاني) بلاد الجركس سنة ١٨٦١ ، وخيرهم بين امرين :

أ ـ الاقامة في المكان الذي تعينه لهم الحكومة الروسية ، مستقرا دائما ،

ب ـ او النزوح برضاهم عن ديارهم

فرفض القوم الشرطين جميعا ، وثاروا مجددا ، لكنهم ، لم يتمكنوا من الوقوف في وجه القوات الروسية التي لا تكاد تحصى ، فهجروا اوطانهم ، ولجأوا الى الدولة العثمانية ،فبدلا من المساعدة التي كانوا يتوقعونها من الدولة العثمانية ، انتشر بينهم مبشرون ، غرورا بهم اشنع تغرير ، اذ كان يقول لهم هؤلاء المبشرون « ان الذين يعارضون هجرة الجركس من الديار الروسية يغضبون الله ، وخليفة رسول الله ، واغرقوهم بالوعود الخلابة التي لم ينفذ منها شيء » (٢٢) ٠ وقد قال المؤرخ الروسي (H - B - BERJE) ان تشريد الجركس منقفقاسيا كان تدبيرا اداريا حربيا ، ابتدأ في العاشر من شهر اذار سنة ١٨٦٢ بعد قرار لجنة قفقاسيا ٠ فقد حشرت (روسيا) هذه العشائر :

١ ـ (الابزاخ) ٠ ٢ ـ (الشابسوغ) ٠ ٣ ـ (الابخ) ٠ ٤ ـ (الناتوخاي)٠ ٥ ـ و (القبرطاي) ٠ في السواحل ، وحملتهم في البواخر المغلقه الى ديار الترك العثمانيين ، وابعدتهم رغما عنهم ٠

وفي سنة ١٨٧٧ ارغمتهم روسيا على الهجرة من (الروملى) فتفرقوا في (سورية) و (الاردن) حيث اقطعتهم الحكومة ارضا يعيشون منها ، وعليها ٠ وكان (الشابسوغ) ، اول من هاجر من تركية على احدى البواخر ٠ ولما كانت السفينة

في عرض البحر ، شبت بها النيران ، فاحترق اكثر من سبعمئة راكب ، ونزل من بقي في مدينة (عكة) ثم حملوا الى (نابلس) ، اقاموا فيها نحو سنة ، ومنها ارتحلوا الى (الاردن) ، واستوطنوا (عمان) .

وفي سنة ١٨٨٠ هاجر جماعة من (القبرطاي) و (البظاروغ) ، فاقام (القبرطاي) في (عمان) و (البظاروغ) في (وادي السير) . وفي سنة ١٨٩٢ قدم الى (عمان) جماعة اخرى من (القبرطاي) ، وسكنوا في (حي المهاجرين) . وفي سنة ١٩٠١ جاءت الى الاردن اسر من (القبرطاي) و (البظاروغ) فبنوا قرية (ناعور) وسكنوا فيها . وآخر من قدم من الجركس اسر من (القبرطاي) اقاموا في (الرصيفة) سنة ١٩٠٩ .

- ويقال ان (القبرطاي) اخذوا اسمهم هذا من زعيم لهم يدعى (قباردقوه) اي ابن قبار . ويقسم (القبرطاي) الى ثلاث طبقات :ـ

أ ـ الامراء ، ولا يوجد من هذه الطبقة احد في الاردن .

ب ـ (قبرطاي ورق) ويوجد من هذه الطبقة ست اسر في الاردن ولكل من هذه الاسر شعار خاص . (٢٣)

ج ـ الطبقة الثالثة ، ويوجد منها اربع اسر في عمان وفي جرش .

- الشابسوغ ـ قوام هذه العشيرة اربع اسر .
- مه خوش ـ ومنها اسرة واحدة تدعى (قنز) ومعنى الكلمة قاذف النار
- بسلنيه ـ منها اسرة واحدة في عمان يقال لها (شدجي)
- واسه ـ ويوجد منها اسرة واحدة في (المجدل) وتدعى (شمه بل) ولقني (ذا الراس الاحمر)
- ابازه ـ ويوجد منهذه العشيرة اسرةواحدة في(جرش) اندمجت فياسر القبرطاي.

هذه لمحات موجزة عناصل الجركس ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وعن اسباب هجرتهم الى الديار الاردنية . ونترك الباب مفتوحا ، لمن اراد التقصي ، لان غرضنا التعريفببعض ملامح تخص هذا الشعبالعريق الذييقيم بيننا.والله منوراء القصد

الهوامش والمصادر

(١) يسميهم ابن خلدون (البركس) وكان الارادنة يسمونهم (البرسك) .

(٢) يقال انهم طردوا (الاسكيت)وحلوا محلهم ، وهم (العزيزى) آريو المنبت . ومن الصرمات عشيرة تدعى (سيراكس)

(٣) العماد هو تنصير الطفل ، وهو يقابل الختان عند المسلمين . ويتم بثلاث طرق أ ـ بالتغطيس بالماء ، ب ـ يصب الماء على الراس . ج ـ بالرش على الراس ويقول الكاهن وهو يمارس هذه المراسيم الدينية : « انا اعمدك باسم الاب والابن والروح القدس . والنصارى مختلفون على طريقة العماد هذه .

(٤) هذا ماقاله الاستاذ (اسماعيل جانبك) اما مؤلف (ابطالواباطرة ابطالمنحياة الجركس) الدكتور (شوكت المفتي) انهم كانوا يزيدون مقطع (اوق) .

(٥) يرى الاستاذ (اسماعيل جانبك) ان الوحدة القياسية من هذا القماش كانت تصلح لصنع فسطان واحد . اما الدكتور (شوكت المفتى) مؤلف (ابطال واباطرة من حياة الجركس) فيقول ان طول هذه القطعة ذراع واحدة (العزيزي)

(٦) ومن هنا تمكن المماليك من الاستيلاء على الحكم في مصر . (العزيزي)

(٧ [illegible] اشارة الى ان المحارب مستعد ان يتلقى الطعنات بصدره ، وانه لن يولي الاعداد [illegible]اه . (العزيزي)

(٨) تلفظ الكاف جيما تركية بثلاث نقاط . (العزيزي)

(٩) ما زالت نساء البدو يتخذن فراشهن من نبات الشيح والقيصوم (العزيزي)

(١٠) قال الشاعر يعير قوما زوجوا بناتهم من تجار وزراعين :

« امن قلة صرتم الى ان رضيتم دعارة زراع واخر تاجر ؟ »

(١١) وقالت البدوية : « يايمة ، ما اريد انا الفلاح ولا أريد مطبش الميزان ! »

(١٢) وفي امثالهم :ـ ثلاثة ما تنعار ، المرأة ، والفرس والسلاح . حتى قال بعضهم :ـ هير مرتك ، ولا تعير سلاحك . من اقوال البادية .

(١٣) في اللهجة الاردنية تعني استيهاب قسم من الغنيمة او ملابس جديدة ، وفي اللغة جانب من المغانم . (العزيزي) قاموس العادات واللهجات .

(١٤) معاني الرجال ، مكارم الرجولة ، من شمم وكرم وشجاعة وكل فضيلة ترفع قدر الانسان

(١٥) كان هذا مالوفا الى ما قبل سنة ١٩٢٠ . (العزيزي)

(١٦) القامة اقصر من السيف يبلغ طولها مترا ، لا اعوجاج فيها ، ودونها الجنبية التي تشبه الخنجر ، لكنها اطول منه ، ودونها السكين . (العزيزي)

(١٧) مفرده صرخ ، وهو المرير الذى يعلق به اللجام ، ولما كان البدو يتحامون التثنية ، ـ الا نادرا فانهم يسمون الصرخين صروغا . قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية مادة (ص ر غ) الجزء الثاني صفحه ١٥٦ ولا وجود للكلمة في المعاجم ، وما في المعاجم (صرع) اي الطاق من الحبل (العزيزي)

(١٨) راجع ما تكلمنا عليه كله في (قاموس العادات واللهجات والاوابد الاردنية) (العزيزي)

(١٩) لم يكن يسمح للمرأة في الاوساط الشعبية الاردنية ان تنادي زوجها باسمه بل تقول :ـ ياهاضا ، ياهضاك ، ياهوه . ، الى ان ينتبه لها . (العزيزي) .

(٢٠) ولعل الفكرة نفسها ، هى التى دفعت بعض البدو ان يسموا اولادهم اسماء قبيحه مثل :ـ
« حماران » لفتى . و (حمارة) لفتاة . ونحن لانرى رأى الذين يقولون ان هذه الاسماء لدفع
العين الشريرة .

(٢١) هذا ما قاله لي الاستاذ اسماعيل جانبك
المؤرخ الجركسى (العزيزى)

(٢٢) يسمى الارادنة مثل هذا الشعار (الوسيمة) او (الوسم) وتطبعه كل عشيره او قبيلة على ابلها واغنامها وخيلها احيانا ، وعلى عبيدها ، يوم كان الاستعباد معروفا (العزيزى)

بعض ركائز هذا البحث

١ ـ هيرودتس طبعة مكتبة صادر .
٢ ـ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان
٣ ـ دائرة المعارف حرف السين .
٤ ـ من حياة ابطال واباطرة الجركس ـ تاليف الدكتور شوكت المفتي
٥ ـ مشافهة العارفين بعادات وتقاليد الجركس ، من زعماء الجركس .
٦ ـ ملاحظات من الاستاذ (اسماعيل جانبك)
٧ ـ مقدمة ابن خلدون .
٨ ـ تحقيقات ميدانية شخصية . بعد مجاورة الجركس في عمان من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٢ .
٩ ـ تاريخ شرقي الاردن وقبائلها ـ لفردريك ج بيك ترجمة بهاء الدين طوقان مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية في القدس سنة ١٩٣٥ وضع بالانجليزية سنة ١٩٣٤

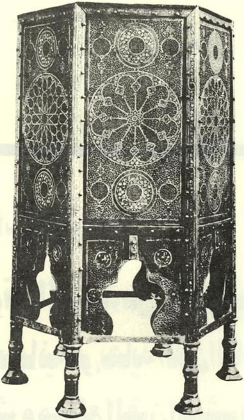

كرسى من النحاس المخرم والمكفت من القرن السابع الهجرى عليه اسم « الناصر » محمد بن قلاون السلطان المملوكى ، محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ، والتكفيت هو ترصيع معدن بمعدن كتكفيت النحاس بالفضة ، اشتهر به شمال الجزيرة العراقية والموصل بصفة خاصة وسرت هذه الصناعة الدقيقة من شمال العراق الى الشام ومصر ، وشغف بها سلاطين المماليك وامراؤهم ، واتيح « المكفتون » آيات رائعات من الكراسي والقناديل والصوانى والعلب والقدور والمباخر والأسلحة مما سوف نفرد له مقالا خاصا فيما بعد .